

تتلخص أهمية والية عقبة تلك في أنه نجح في تأسيس عاصمة إسلامية في إفريقية هي القيروان حتى إن ابن الأثير جعل موضوع تلك الحملة هو بناء القيروان فقط، استقرار الإسلام في بلاد المغرب لن يتم إلّا بتأسيس مقر دائم للجيش وش الإسلام في قلب البلاد تعسكر فيه، ألنه وجد أن ففكر في أن يكون للمسلمين مصرا في البلاد على نحو ما قاموا به في كل البلاد التي فتحوها مثل العراق ومصر، فإذا خرج منها رجوع من كان أجاب منهم لدين هلالا إلى الكفر، للمسلمين إلى آخر الدهر". إلى فتوح منظمة هدفها نشر الإسلام، وشاور أصحابه ففضلوا أن تكون قريبة من البحر ليحوزوا فضل الجهاد والرباط معا، لكنه أشار عليهم قائل: "إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما ال يدركها إلّا وقد علم به، ويكون ما بينها وبين البحر ما يوجب القصر في الصالة، وهكذا بنيت القيروان في موضع استراتيجي، يمتاز ببعده عن البحر فال تتعرض لغزو بحري، المدن الإسلامية في ذلك الوقت، فضال عن ذلك كانت تتمتع بظهير اقتصادي يتمثل في القرى التي تمدها بما تحتاجه، وما يدل على ازدهارها طيلة شرع عقبة ومن معه في تمهيد المكان للبناء، وكان واديا كثير الشجر تأوي إليه ال وحوش والسباع والهوام، خرج، مما عد من كراماته، وليس هذا أمر عجيب ألن الحيوانات تهرب من الأماكن التي فيها حركة وجلبة وأمر عقبة الناس بالبناء والخطط وقطعها وركز رمحه وقال: هذا قيروانكم وبنى المسجد ودار الإمارة، وكانت المدينة بهذا الشكل عبارة عن قاعدة للجيش الإسلامي، وبذلك كانت القيروان أول مدينة تبنى في إفريقية ومسجدها أول مسجد بني فيها، باعتباره أول مسجد البلاد، واعتبار قبلته النموذج الذي تقلده سائر محاريب المساجد فيما بعد، فلما سمع لكن لم تطل والية عقبة فقد أصدر الخليفة معاوية قرارا بعزله عن إفريقية في فترة تألقه بعد بناء القيروان، فكان جزاء غريبا بعد قيامه بهذا العمل خدمة لإسلام والمسلمين" وهو خير وال وخير أمير " وولى بدال منه أبا المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري. هـ - والية أبي المهاجر دينار

62-65هـ/683-675م. فإنه من المحتمل أن يكون نتيجة لوشايات هام وهو الغنائم، هذه نظرة قاصرة ، وكان مسلمة بن مخلد والي مصر في مقدمة من سعى لعزل عقبة، أو ربما لخوف ساور الخليفة من عقبة أن يستقل بالمغرب خاصة بعد ما رأى من اهتمامه بإفريقية وشعبيته وتأسيسه القيروان، والشدة التي اتبعها عقبة في بعض المواقف، والتي لم يكن مسلمة يرضى عنها؛ والدليل على ذلك أن أبا المهاجر سار على سياسة مغايرة لها، وقيل أساء عزله ويبدو أنه كان مدفوعا في ذلك بضغط من مواله مسلمة الذي كان يحقد على عقبة لما ناله من وربما تلقى أيضا تعليمات منه بهجر القيروان وبناء مدينة أخرى، وأمر الناس بترك القيروان واعمار مدينته، مما دفع بعض المؤرخين المحدثين: إلى القول بأن ثقافة الهدم تجذرت في بنية عقل قادة الفتح نتيجة للصراعات الشخصية والألنانية وحب الذات، لكن ذلك يثير التساؤل ألن أبا المهاجر لم يكن لديه الوقت أو الإمكانيات لبناء مدينة جديدة، كما أن التحاسد بين مسلمة وعقبة ال يمكن أن يبدو أن أبا المهاجر نزل في مكان آخر غير القيروان فنسب إليه بناء مدينة جديدة، وال صحة إلهراق أبي المهاجر للقيروان ألن تدمير مدينة كهذه يعتبر عمال إجراميا ال يمكن وأن الأمر لم يزد على هجر القيروان واخلائها من العسكر والإدارة، وقد يكون هذا التصرف نابعا من رغبة أبي المهاجر في التقرب إلى البربر والإقامة في وهذه هي النظرة الذي يجب أن ننظر من خالها ألعامل هؤالء القادة. وتفانيا في الدعوة إلى الإسلام ورفع رايته عن عقبة، وربما تكون تجربة عقبة قبله مما أفاده وجعلته ينهج نهجا جديدا معتدال، وهو وقد نجح في سياسته ليس فقط في التفريق بين بل أيضا في إقامة نوع من التحالف بينه وبين إحدى قبائل البربر القوية وهي قبيلة أوربة في جبال أوراس، إذ اعتنق زعيمها "كسيلة بن لمزم" الإسلام، كسيلة أن يجتاح المغرب الأوسط (الجزائر) وأن يصل حتى مدينة تلمسان غربا. غزو قرطاجنة واصل أبو المهاجر سياسته في نشر الإسلام فغزا قرطاجنة سنة 59هـ/678م وحاصرها ودار قتال شديد بين الفريقين حتى حجز وطلب البيزنطيون الصلح مع المسلمين وتعهدوا بأن يتنازلوا عن جزيرة "شريك" مقابل رفع فتحها. وأقام بها عاما واحدا حتى عزل، وعن أبي المهاجر قال ابن عبد الحكم: "أن أول من أقام بها (إفريقية) حين غزاها أبو المهاجر إذ أقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلا"، وان كنا نرى أن فضل ذلك راجع إلى عقبة قبله. فالمؤرخون اهتموا بعقبة وتتبعوا بينما أغفلوا شأن أبي المهاجر إما نسيانا أو تناسيا، أو ربما ألن واليته وقعت بين واليتي عقبة، أو وبنيت المنازل، واتخذت مسجدا للجماعة، "فاعتذر له الخليفة ووعده برده إلى عمله لكنه لم يفعل، أو لم يمهل القدر ليوفي بوعده، إذ توفي عام 60 هـ 679 م. توفي الخليفة معاوية وآلت الخالفة البنه يزيد وراثه، الذي كان مقتنعا بعقبة ففصل إفريقية عن مصر، وعزل أبا المهاجر عام 62 هـ 681 م/ وأعاد عقبة إليها ثانية، وهنا يثار سؤال هو: متى رد يزيد عقبة لإفريقية هل بعد وفاة مسلمة والي مصر أم قبل وفاته؟ اختلف المؤرخون المحدثون في ذلك فذكر العالمة حسين مؤنس: أن يزيد انتظر حتى وفاة مسلمة ألن تولية عقبة كانت سنة 62 هـ/ 681 م أي بعد سنتين من خالفة يزيد فلما لم يعيده أول خالفته، عمله لتولى حماية أبي المهاجر أو الستغاث به على الأقل، فأما وقد كان عقبة مطلق اليد يفعل بأبي المهاجر

ما يشاء، وأنه خالفه فيما صنع معه، أن يحسن صحبة عقبة، وهذا يفسر تحامل عقبة على أبي المهاجر ومبادرته بالقتصاص منه بمجرد وصوله إلى إفريقية، ولم يكن مسلمة وقتئذ قادرا على حمايته من عقبة ألن والية إفريقية لم تكن تابعة له، ويبدو أن الخليفة لم يردده الإفريقية إل بعد وفاة مسلمة لمكانة ومركز مسلمة في الدولة الأموية هذه المكانة التي حفظها له معاوية، وجمع له مصر فبمجرد موته رد يزيد عقبة الإفريقية، موقف عقبة من أبي المهاجر تجمع معظم الروايات على أن عقبة بدأ عمله بالقتصاص من أبي المهاجر، وغزا به وهو مكبل في الحديد وصادر أمواله، المهاجر بأمواله والغنائم، فلم تذكر النصوص أنه كان حريصا على جمع المال، لتغيير سياسة أبي المهاجر وهي سياسة أثبتت نجاحا، إذ انتهت بضم زعيم أو ربة إلى الإسلام، المهاجر أن يقنعه بالاستمرار في اصطناع البربر، وقدم له كسيلة على أنه من زعمائهم، ولكن عقبة خالفه فاستخف بكسيلة وهو حديث عهد بالإسلام فذكر أنه أتى يوما" غم للعسكر فذبح فأمر عقبة كسيلة أن يسلم مع السالخين فقال له: أصلح هلا أألمير هؤالء فتياي وغلماي يكفونني فنهره عقبة فقام كسيلة مغضبا فكان كلما دحس في الشاء مسح يده بلحيته مما علق بيده من بلل، فقال له الناس ما هذا الذي تصنع؟ فقال هذا جيد للشعر فسمعه شيخ من العرب فقال: إن البربري يتوعدكم، ودافع أبو المهاجر عنه وقال لعقبة: أصلح هلا أألمير ما هذا الذي صنعت كان رسول هلا صلى هلا عليه وسلم يستألف جبابرة العرب كألقرع بن حابس وأنت تجيء إلى رجل هو خيار في قومه، توثق من الرجل فإنني أخاف فتكه، فتهاون به عقبة، لكن يبدو أن هذا مبالغ فيه مما دفع بعض المؤرخين المحدثين: إلى القول بأن هذا الأمر لو صدر عن عقبة كان دليل فساد في رأيه واستبداد وهي صفات ننزه عقبة عنها ونستبعد اتصافه بها، فيه أبو المهاجر فغضب كسيلة خاصة أنه شريف قومه، وما ي وُيد ذلك أن كسيلة استطاع أن يفر من جيش عقبة دون أن يشعر به، أنه لو كان مكبال في الحديد واهتم به عقبة ما استطاع أن يفر دون علمه وموقف أبي المهاجر طوال حملة عقبة مما يستدعي الإعجاب فإن الروايات تؤكد إلحاحه في نصح عقبة ومن هذا يبدو أن عقبة عامل أبا المهاجر معاملة حسنة وأنه غزا معه مجاهدا حرا بدليل استشهادهما معا وسيفاهما في يديهما، وهذا يؤكد ما ذكرناه بداية من صعوبة البحث في فتح بالد المغرب لكثرة الروايات وتعارضها. ولذلك خطب في قومه قائلا: "إني ولست أدري أتروني واجعلها عزا لدينك، وذال على من كفر بك. عقبة في المغرب الأوسط كان خروج عقبة من القيروان طلبا الشهادة في سبيل هلا، 1) متوجها غربا حتى وصل إلى باغاية وفيها التقى بجيش البيزنطيين وحلفائهم من البربر، وانتصر عليهم وجمع غنائم أكثرها من الخيل التي لم يروا أصلب وال أسرع منها، وزحف غربا حتى دخل بالد الزاب الفسيحة، والتقى بالبيزنطيين وانتصر عليهم ثانية، الزاب ودلوا إلى آخر الدهر"، فوجد نفسه أمام جموع كبيرة من البيزنطيين والبربر لم يعهد المسلمون لها مثيال من قبل لكن عقبة تمكن من إحراز 1) مدينة كبيرة بين بجانة وقسنطينة. هي أول بالد التمر ولها واد يجري إليها من جهة القبلة شربهم منه ومن أبار عذبة تسكنها قبائل مزاتة وضريسة وهم إباضية . واصل عقبة سيره غربا حتى وصل سبتة، وكان أميرها يسمى يوليان، وكان سياسيا محنكا فبادر بمهادنة عقبة وهاداه وسأله المسالمة، وأظهر تعاوننا معه فدل على مواطن البربر جنوبا الذين يعبدون فدخل بالد صنهاجة ففتح وغنم كما فتح أغمات حتى وصل ومنها إلى إيغيران يطوف على ساحل المحيط فأدخل فرسه في الماء حتى بلغ صدر فرسه، ورفع مدافعا عن دينك مقاتال من كفر بك"، ورأى عقبة أن مهمته انتهت فع زم على العودة إلى القيروان ربما ألخبار مقلقة بلغته عنها ، تاركا وراءه نفوذا للبيزنطيين ال يزال قائما في الساحل، وبذلك يعتبر عقبة أول قائد مسلم يدخل المغرب الأقصى ونشر الإسلام فيه عن طريق بناء المساجد في كل منطقة حل بها، وترك فيها أحد الدعاة ليعلم الناس الإسلام، وبالقرب من تازا ترك أحد أصحابه 1) وكان اسمه شاكرا فسمى هذا المكان برباط شاكرا ووادعته هناك قبائل البربر مثل هسكورة وجزولة قرر عقبة العودة إلى القيروان فسلك طريق وادي سبو ووادي ملوية، وواصل سيره شرقا حتى وفي طينة على بعد ثمانية أيام من القيروان أذن لمعظم ليتم فتح ما تركه من قالع، ووصل إلى تهوده(في الجزائر حاليا) ليفتحها ويتخذها قاعدة لقواته في منطقة ألوراس، وكانت ويبدو أنه من الصعب تفسير قرار عقبة فهل كان عقبة نتيجة لشعوره بمؤامرة أراد نجاة جيشه الرئيس، ويتحمل هو ومجموعة بسيطة القيام بعملية فدائية الختراق الكمين؟، ورغبة الجند في العودة إلى القيروان؟. يدفع عقبة بالسراع بإرسال كتائب من جيشه لحمايتها فيتفرغ هو بعد ذلك لمهاجمة عقبة، الحكم: أن عقبة لما تقدم إلى السوس خالفه رجل من العجم في ثالثين ألفا إلى عمر بن علي وزهير بن قيس وهما في ستة ألف فهزمه هلا"، وقدم البيزنطيون العون لكسيلة فأخبروه بمكان عقبة وأخبار سيره وحاله، وهنا وجد عقبة نفسه أمام جيش كبير إذ كان كسيلة قد جمع أكثر من خمسين ألف مقاتل وقطع عليه خط الرجعة وكانت عملية متقنة، وفي هذا الموقف الصعب أدرك عقبة أن نهايته أوشتت أمام هذه الحشود المعادية، لكنه رغم ذلك قرر خوض المعركة التي دارت رحاها عند تظل مسلوقة إلى النهاية وقتلوا حتى قتلوا، واستشهد عقبة وأبا المهاجر وسيفاهما في يدهما ومازالت قبورهم معروفة بمدينة تهوده وأسر بعضهم

فقداهم صاحب قفصة وبعث بهم إلى القيروان، هذه الغزوة الناجحة نهاية مأساوية رغم شدة الحماسة التي أظهرها عقبة ومن معه. في الحقيقة هناك غموض حول ما حدث في تهوده؛ هل سبقتها عملية استدراج من كسيلة والبيزنطيين، خاصة أن المعركة وقعت في وقت كانت الخالفة الأموية في أزمة سياسية بعد موت يزيد بن معاوية، والصراع بين الشام والحجاز، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل ثانية عن مدى تأثير هذه الحوادث والتطورات على الجبهة الأفريقية، على نتائج تهوده وعلى فتح بلاد المغرب بصفة عامة، لذلك لم يكن مصادفة أن فتح المغرب من أصعب إذا ما قورن بغيره من الفتوح السابقة عليه أو المعاصرة له، إال أنها مهدت الطريق أمام قادة المسلمين الذين سلكوا هذا الطريق فيما بعد، والتي أدت إلى ضياع قاعدة الفتح وتحالف البيزنطيين والبربر ثانية، والاستعداد لمشروع الفتح من جديد، وتقع المسؤولية في خروج البلاد من طنجة إلى برقة من المسلمين على بقية الجيش الذي أثر النسيان ولم انسحاب المسلمين من القيروان 64 هـ / 683 م بلبل الأفكار وزعزع الثقة في نفوس المسلمين، وكان على رأس هذا الفريق زهير بن قيس نائب عقبة على القيروان . وفريق آخر رأى النسيان إلى المشرق حتى ال يهلك المسلمون، وعلى رأسه التابعي الشهير حنش بن عبد هلالا الصنعاني، أسرته وذويه فاضطر إلى اللحاق بهم، ولم يبق بالقيروان من المسلمين إال الشيوخ والنساء والأطفال، وجلس في لكن ليس معنى هذا أن المسلمين فقدوا كل شيء بل تركوا كثيرا من مسلمي البربر، فلم ينتقم منهم إنما الراجح أن يفسر ذلك بكثرة دخول البربر في الإسلام، إضافة لصلة القرابة بين من أسلم من البربر وقبائلهم الضاربة حول فخاف كسيلة اضطراب الأحوال إذا امتدت يده إليهم بسوء فافتقروا بخروج زهير منها. ز والية زهير بن قيس واسترجاع القيروان 69 هـ / 689 م كانت أحوال الخالفة الأموية مواتية بالنسبة لكسيلة ففي الوقت الذي انسحب فيه زهير من القيروان، الخالفة عبد الملك بن مروان (86 - 65 هـ / 700 - 689 م) فاهتم المغرب رغم المشكالت التي تواجهه، فاستشار رجاله في أمر المغرب فأجمع رأيهم على تولية زهير باعتباره صاحب عقبة وأوالهم بدمه، عن أنه من المجاهدين فأمره بالسير إلى إفريقية وتحريرها من كسيلة، ولم يبخل عليه بالمال والرجال وأطلق يده في أموال مصر وأرسلهم إليه. وبلغ كسيلة ذلك فحشد جيشه وكان أضعاف جيش زهير، القي روان، وعدو خارجي وهو المسلمين، الجبل، ووقع اختياره على موضع جنوب القي روان يسمى "ممس" قريبا من جبل أوراس ويبدو أنه اختار هذا الموضع لحصانته ومنعته الشديدة؛ دأبرهم من الدنيا وتكون لنا إفريقية إلى آخر الدهر، وان هزمونا كان الجبل منا قريبا والشعراء(الغابات) فترجو أأل نهلك، " اقترب زهير من القيروان وعسكر خارجها حتى ال يحاصره واشتبك الجيشان في قتال عنيف انتهى بهزيمة كسيلة ومقتله مع عدد كبير من جنده، وتعتبر هذه الموقعة من المواقع الحاسمة في تاريخ فتح المغرب فبعدها" ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم، وخضدت شوكتهم، القالع والحصون وكسرت شوكة أوربة. استشهد زهير بن قيس 69 هـ / 689 م لكنه فجأة قرر العودة إلى المشرق، خاصة بعد أن رأى إفريقية ملكا عظيما وأنه فإن إفريقية كانت أرض والزاهد الورع الذي يخاف الدنيا هو الذي يقيم في الثغور ويرابط على دار الحرب، اعتبر أن مهمته انتهت بالنار من كسيلة، وهناك رأي آخر ذكر أنه أراد إنقاذ برقة من البيزنطيين الذين أغاروا عليها بعد رحيله عنها إلى القيروان، على أية حال التقي زهير بالبيزنطيين في " د رنة " بعد أن أغاروا على برقة وقتلوا ونهبوا وسبوا كثيرا من أهلها، وأخبر الروم يدخلونهم المراكب فنادي أصحابه بالنزول وكانوا أشرف العرب المجاهدين، ودارت بينه وبين البيزنطيين معركة في درنة استشهد فيها زهير ومعظم من معه سنة 69 هـ / 689 م، لبت وقف الفتح الإسلامي مؤقتا لعدة سنوات للمرة الثانية، فقد كانت مصيبته مثل مصيبة عقبة قبله، وخلت البلاد بعده من وال يسوس أمرها بسبب ظروف الخالفة الأموية آنذاك. مرحلة إتمام الفتح والاستقرار (90 - 73 هـ / 711 - 692 م) ح حسان بن النعمان الغساني 86 - 73 هـ / 706 - 692 م. تغلبت الخالفة الأموية على مشاكلها الداخلية بتخلص عبد الملك بن مروان من منافسه عبد هلالا بن الزبير سنة 73 هـ / 692 م فكانت بلاد المغرب من أولى اهتماماته، جيش كبير فجهر جيشا بلغت عدته نحو أربعين ألف مقاتل ترافقهم حملة بحرية، بداية هناك خالف بين المؤرخين حول تاريخ هذه الحملة ما بين عامي 73 هـ / 692 م أو 78 هـ / 697 م، والراجح أن هناك حملتان قام بهما حسان ال حملة واحدة إحداها كانت سنة 73 هـ، ألن الخليفة عبد الملك فرغ من ثورة ابن الزبير عام 73 هـ، على خزانة مصر فيروي ابن عذارى : أن الخليفة عبد الملك قال لحسان "إني أطلقت يدك في أموال مصر، فأعط من معك ومن ورد عليك. " بعد أن كلف حسان بهذا الأمر سار بجيشه الذي لم يدخل إفريقية جيش مثله، حتى وصل إلى طرابلس فانضم إليه من أسلم من أهلها، ومنها أرسل طالع إلى إفريقية وكان وهو أول بربري مسلم تسند إليه قيادة سرية من المسلمين، مما يدل على أن كثيرا من سكان ليبيا قد اطمأنت نفوسهم لإسلام واطمأنوا للعرب كما اطمأن العرب لهم حيث تجهز منها للغزو، واتبع خطة عسكرية قوامها مقابلة أعدائه من البيزنطيين والبربر منفردين. دار ملك إفريقية، فخرج من القيروان بجيشه متوجها إلى قرطاجنة، وكان بها الحاكم العام الإفريقية البيزنطية وحاصرها حصارا شديدا،

ودارت بينهما معارك عنيفة حتى فتحها هلا علىه، فدمرها ودك حصونها لأنها كانت تشكل خطرا دائما على الفتح الإسلامي للبلاد، وأخذ حسان يفتح المدن المختلفة مثل صطفورة وبنزرت وغيرها وكل منطقة تجمعت فيها قوات البيزنطيين والبربر حتى أزال أثرهم من البلاد، وبذلك نجح حسان في القضاء على المقاومة البيزنطية، والبعدها كسرت شوكة البيزنطيين مما مكن المسلمين من النطاق لتنفذ خططهم في الفتح باطمئنان وثبات، المسلمين قبل كانوا يتحاشونها لمناعتها وقربها من البحر. ثانياً: مع البربر أقام حسان بالقيروان ريثما تبرا جراح جيشه، ثم تاهب لمواجهة المقاومة البربرية، وقد سبق للمسلمين أن أخضعوا البرانس وقتلوا كسيلة على يد زهير بن قيس، وبقي أمامهم إخضاع البتر في جبل والتي ادعت التنبؤ بالغيب وسيطرت على (1) (الأوراس، وكانوا قد تجمعوا تحت قيادة زعيمة تلقب بالكاهنة البربر عن طريق الدجل والشعوذة وأطاعوها طاعة عمياء، قبائل البربر وأكثرها جموعا وبطونا، وكانت تتمتع بنف وذ وسلطان قوي؛ حينما سأل عنها قالوا له: "جميع من إفريقيا منها خائف ون، فإن قتلها دان لك المغرب كله ولم يبق لك مضاد وال معاند. هزيمة حسان أمام الكاهنة توجه حسان بجيشه نحو الكاهنة فلما علمت بذلك سبقته إلى باغاية في جموع ال تحصي فأجلت وهدمتها ظنا أن حسان يريد التحصن بها، فاستهان بها لثقته بنفسه وكثرة جنده، فنزل بوادي مسكينة) المعروف بوادي العذارى، على الأرجح سنة 75 هـ / 694م في قتال شديد أسفر عن هزيمة المسلمين، وأسرت الكاهنة ثمانين جنديا ولم تحتجز منهم غير "خالد بن يزيد العبيسي" الذي أعجبت بشجاعته فتبنته، بزيت وجعلته على صدرها ودعت ولديها وقالت: كال معي على صدري ففعال فقالت: قد صرتم أخوة، شدة ما نزل بالمسلمين سمي ال وادي بوادي البالد، إلى برقة، فأقام في مكان سمي قصور حسان ولم يبق في طاعته سوى أنطابلس ولوية ومراقية إلى حد كتب حسان إلى الخليفة عبد الملك بحاله فأمره بالانتظار في برقة حتى يأتيه أمره، وكان هذا هو وهكذا خرجت إفريقيا من يد المسلمين للمرة الثالثة، وملكت الكاهنة المغرب كله بعد حسان لمدة خمس سنين. رأت الكاهنة بتفكيرها الخاطيء أن المسلمين إنما أتوا للمغرب طمعا في ثرواته وخيراته، على قومها بالقضاء على كل مظاهر العمران وقالت: "إن العرب إنما يطلبون المدائن والذهب والفضة. فما أرى لكم إل خراب إفريقية حتى يأسوا منها ويقل طمعهم فيها، الشجر ويهدمون الحصون ويخربون القرى" يذكر أن إفريقية كانت ظال واحدا من طرابلس إلى طنجة، وقرى متصلة ومدنا منتظمة، وكان البيزنطيون بعد طردهم من قرطاجنة يرقبون الموقف عن كثب، وينتظرون فرصة يستردون بها نفوذهم، فانتهزوا فرصة انتصار الكاهنة، وأعدوا حملة بحرية قادها البطريق "يوحنا" أغارت على قرطاجنة وقتلت من بها من المسلمين وسلبوا ونهبوا كل ما وصلت إليه أيديهم. ظل حسان مقيما في برقة خمس سنوات منتظرا الإمدادات من الخليفة، يزيد فكانت الكتب ترد بينهم سرا، وال شك أن حسان أفاد من الأخبار التي زوده بها خالد في معرفة أحوال الكاهنة وخطتها في الحرب، ولما تهيأت الظروف للخليفة أمده بالجيش والأموال وأمره بالمسير إلى إفريقية لقتال الكاهنة، يذكر بعض المؤرخين المحدثين: أن البعض اختلط عليهم أمر هذه الحملة ففسبوا هذا العدد الضخم إلى الحملة الأولى التي قادها حسان ضد البيزنطيين، فلو أن حملة حسان الأولى كانت تضم كل هذا العدد لما كان أن يهزم على أيدي رجال الكاهنة، ولو لم يكن جيش حسان الثاني يمثل هذا القدر وال شك أن ضخامة هذا الجيش كان جماعة من البربر استأمنوا إليه فلم يقبل أمانهم، إل أن يعطوه من قبائلهم اثني عشر ألفا يقاتلون مع فأجابوا وأسلموا على يديه" وفي طريقه" لقيه من النصارى ثلثمائة جل يستغيثون به من الكاهنة، فيما نزل بهم من خراب" وكان كلما مر يقوم يستغيثون به من الكاهنة فسر بذلك. وصلت الأنباء للكاهنة بقرب وصول حسان بجيشه فتراجعت إلى داخل جبل الأوراس، وطلبت من خالد بن يزيد أن يأخذ الألمان البنيها من حسان، أما هي فقررت أن تقاتل حتى الموت فقبل حسان تأمينهما، ساحقة وسحق جيشها وقتلها، وبذلك - قضى حسان على كل أثر للمقاومة البربرية في المغرب الأدنى واستقامت له البلاد فاتجه إلى قرطاجنة للمرة الثانية لتطهيرها من البيزنطيين الذين اضطروا إلى الفرار بحرا واسترد حسان المدينة ثانية. ثالثا: أعمال حسان الحضارية استقر الأمر للمسلمين بالمغرب وبذلك يمكن اعتبار حسان بن النعمان المتمم للفتح الإسلامي للبلاد المغرب فقد أقام بالقيروان "ال يغزو أحدا وال ينازعه فبدأ بتجديد مسجدها ونظم الإدارة المالية والجيش ودون الدواوين، ووزع الفقهاء لتعليم الناس أمور الدين، الإسلام بين البربر الذين أقبلوا على اعتناقه في حماس منقطع النظر، كانوا بعد ذلك جندا مخلصين حملوا وجند منهم حسان جندا كثيرا حتى أصبح البربر كثرة في جيشه، وبذلك يرجع له الأولى كان في مقدمته أحد زعماء البربر من قبيلة لواتة وهو هلال بن ثروان اللواتي، أمن ابني الكاهنة جعلهما على رأس القوات البربرية التي كانت معه، وقسمهم فرقتين كل فرقة ستة ألف، كفر من البربر، وبذلك يمكن القول بأن حسان أول من أعطى المغرب طابعه الإسلامي. رابعا: بناء مدينة تونس بعد أن استقام الأمر لحسان في إفريقية فكر في تأمين حدود المسلمين من جهة البحر؛ لأنه كان يتوقع أي هجوم من قبل البيزنطيين، وشاور الخليفة عبد الملك في ذلك فوافقه وطلب من أخيه عبد العزيز والي

مصر أن يرسل إلى حسان ألف قبلي ممن لهم معرفة بصناعة السفن بأسرهم للمشاركة في تأسيس المدينة الجديدة التي ستكون قاعدة بحرية إزاء الروم، اختياره على قرية تسمى ترشيش، وأقام بها دارا لصناعة السفن ومسجدا جامعاً، وكان إنشاء فضال عن أن بناء تونس، تنويجا ألعمال حسان في المغرب وحق للشوخ الألمين كما كان يلقب أن يعود إلى المشرق ليقدم حسابا عن أعماله فرجع إلى دمشق لكنه لن يعود إلمارته مرة أخرى، وتولى المغرب خلفا له. ط والية موسى بن نصير (90 - 86 هـ / 709 م) - أما سبب عزل حسان فليل لخالفه مع عبد العزيز بن مروان والي مصر (أخو الخليفة وولي العهد) الذي كان يتمتع بسلطات مطلقة ومسئوال عن إفريقية ووالتها على المغانم التي قدم بها حسان من المغرب فصارها عبد العزيز، فلما وصل حسان إلى دمشق شكا للخليفة ما صنع معه أخيه فهذا الخليفة من غضبه وأبدي استعداده لرده إلى عمله فأبى حسان وقال: "أل أتولي لبني أمية أبدا. حيث إن الأهواء والأغراض الشخصية كان لها دور في المغرب بنفسه كان أخوه عبد العزيز والي مصر يرى أن له الحق في الإشراف على إفريقية، على اعتبار أنها تابعة لمصر، فكأن عزل حسان عن المغرب كان نتيجة للمنافسة بين الأخوين، فقد كان عبد العزيز ولذلك ذكرت المصادر أن عبد العزيز هو الذي عزل حسان عن المغرب على أية حال تم اختيار موسى بن نصير أميرا على إفريقية خلفا لحسان، وكان موسى عامال على العراق مع بشر بن مروان، لوال تدخل عبد العزيز بن مروان الذي فداه بماله ثم سعي في توليته إفريقية، وأمه بجيش فلما قدم موسى إفريقية وتسلم مقاليد الأمور من أبي صالح مولى حسان ونائبه على البالد خطب خطبة بين فيها سياسته؛ وهي سياسة تتضمن عزا أكيدا على إتمام الفتح واصطناع الحذر والبدء بالعدو القريب قبل البعيد، 1) بالقضاء على جيوب المقاومة في البالد فأرسل سرية إلى قلعة زغوان فارس وهزمهم وقتل أميرهم وافتتح قلعتهم فبلغ سببهم يومئذ عشرة ألف رأس، القيروان في والية موسى بن نصير. ثم أرسل سراياه في نواحي إفريقية، فغنم وسبى يرى على مسيرة أيام ويرى السحاب دونه وكثيرا ما يمطر سفحه وال يمطر أعاله وقال الشاعر يخاطب حمامة أرسلها الحميري : 294 وعين عليها رجال منها بعد أن قدموا إليه رهائن من خيارهم، ثم غزا ووصل إلى نهر ملوية وقتل وسبى كثيرا منهم، وأرسل حملة تأديبية إلى منطقة سجوما وعلى رأسها أبناء عقبة بن نافع(عياض وعثمان وأبو عبدة) وكان يسكنها طوائف من البربر الذين اشتركوا مع كسيلة في قتل عقبة في تهوده فانتقموا منهم، وكان المغرب قد فتح معظمه ولم يبق منه سوى المغرب الأقصى، الغرب خوفا من المسلمين فتتبعهم موسى فغنم وسبى منهم كثيرا، وأحدثت غزوات موسى هزة كبرى بين فأقبلوا يستأمنون المسلمين على أنفسهم ويستسلمون لهم ودخلوا في طاعتهم، وأتاب موسى طارق بن زياد على طنجة وترك معه سبعة عشر داعية لتعليم البربر الإسلام فتم إسالم أهل المغرب الأقصى على أيديهم. الغزو البحري لصناعة السفن على مقربة من طنجة، المتوسط بقيادة ابنه عبد هلا الذي غزا جزر البليار، وسردانيا عادت محملة بالغنائم والأسرى، بل أقدم على فتح شبه جزيرة أيبيريا بعد أن اطمأن على سالمة خطوط مواصالته مع المغرب، لموسى أن يتم على يديه إخضاع المغرب كله ولم تستعص عليه سوى سبته لمناعتها، "يوليان" الذي سيلعب دورا كبيرا في تسهيل مهمة فتح أأندلس. وال نقول استولوا عليه أو احتلوه ألن هذه الأوصاف ليست لها خاصية الديمومة والاستمرار وهو ما كان للفتح الإسلامي؛ بل نعني البالد، قليل إلى مرحلة جعلهم في مصاف الفاتحين، جزيرة أيبيريا، ألن استيفاء هذا فقد كان هذا الفتح من الفتوح الحاسمة التي استتبعت معها نتائج بعيدة الأثر في تاريخ الشرق والغرب،